# الفصل الثالث

# حوار الحضارات

## أو

## العلاقة بين أمة الإجابة وأمة الدعوة


**الدكتور**

**إبراهيم بن ناصر الناصر**

باحث ومفكر سعودي

# حـوار الحضـارات
# أو
# العلاقة بين أمة الإجـابة وأمـة الدعـوة

د. إبراهيم بن ناصر الناصر

هذه الورقة هي محاولة للمشاركة في تأسيس معرفي إسلامي لمفهوم (حوار الحضارات) الذي كثر الكلام حوله وتباينت المواقف تجاهه؛ في ظل ظروف هيمنة مادية للحضارة الغربية، وتعالي أصوات الراغبين في استنساخها من بعض ضلال المسلمين، وهي رؤية تنطلق من أصالة هذه الأمة وثقتها بدينها وعقيدتها ورسالتها وعدم التنازل عنها، ورغبتها في استثمار المفيد من التجربة البشرية، والتعاون على إرساء القيم الإنسانية المشتركة التي جاء الإسلام بالدعوة إليها، وإيمانها بقوتها الذاتية من خلال إيمانها بعالمية رسالتها الإسلامية وأصول دينها العلمية، وثراء تجربتها التاريخية، وانتشارها عبر التاريخ الذي يدل على أن دينها دين حوار، ومن خلال هذا الحوار تؤدي أمة الإجابة مسؤوليتها تجاه أمة الدعوة، فهي دعوة إلى الإقدام مع الثبات في زمن يُستضعف فيه المنزوي والخائف والمنهزم.

## أولاً: تعريف الحوار:

هو التراجع في الكلام بين طرفين، والتجاوب فيما بينهما للوصول إلى الغاية المطلوبة، والمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب، يقال: كلَّمته فما أحار إليَّ جواباً، وما رجع إليَّ حويراً؛ أي ما رَدَّ جواباً[1].

والحوار له معنيان؛ معنى خاص، وهو ما سبق التعريف به، ويتم من خلال تنظيم لقاءات وإقامة مؤتمرات خاصة بالحوار وتبادل الرأي حول القضايا المختلفة. ومعنى عام وهو الممارسة والاحتكاك والجهود من خلال أوجه النشاط البشري المختلفة الثقافية والعلمية والأدبية، ومن خلال الاعتراف بواقع الآخر الموجود؛ باعتبار توافر مقومات وجودية أو ثقافية للاعتراف به.

## وحوار الحضارات:

يعني أن يكون بين ممثلي الحضارات المختلفة لقاءات وتعاون وتفاعل ليستمع بعضهم إلى بعض؛ وليستفيد بعضهم من بعض في شؤون الحياة المختلفة، وليبلغ كل طرف رسالته الحضارية للآخر بالجدال والإقناع والبرهان، فهو عمل فكري مقاصدي، والحضارة هي معنى يشمل الثقافة والمعتقدات والتجارب والمنجزات العلمية والعملية، وإذا كنا نعترف ـ نحن المسلمين ـ بأننا متأخرون في نظمنا المختلفة ومتراجعون حضارياً، فإن أخص ما في الحضارة هو الثقافة والدين، وهذه باقية وغير قابلة للهزيمة، ولذا فإن المعنى الأقرب للواقع عند

(١) الصحاح، مادة: حور.

البعض هو حوار الثقافات وليس الحضارات.

ولقد اكتسبت فكرة حوار الحضارات زخماً كبيراً بعد دعوة الرئيس خاتمي لهذا الحوار، والتي لاقت قبولاً دولياً بإعلان الأمم المتحدة لعام ٢٠٠١م عاماً لحوار الحضارات، ثم الدعوات التي تلت ذلك بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر من العام نفسه(١).

أما أهداف الحوار؛ فالحوار أنواع، وكل نوع له أهداف، والحوار الذي جاء في القرآن هو الحوار الذي يكون هدفه البحث عن الحق والوصول إليه، قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾ [**الكهف**: ٣٤]؛ في الحوار بين مسلم وكافر، وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا**﴾ [**المجادلة**: ١]؛ في الحوار بين مسلم ومسلمة. وهذا النوع من الحوار الذي يوصل إلىٰ الحق أو يبينه أو يقيم الحجة والبلاغ أو يحقق مصلحة للمسلمين؛ هو الذي تعنيه هذه الورقة.

## ثانياً: مشروعية الحوار:

لما كان الاختلاف بين الناس والافتراق أمر قدري، وقع ويقع بإرادة الله الكونية القدرية لحكم أرادها الخالق ـ سبحانه وتعالىٰ ـ؛ منها أن يكون سبباً للتدافع والتداول والتنافس والابتلاء من كل طرف للآخر، وبهذا تحصل عمارة الكون وتتحقق السنن، وتقوم الحجة علىٰ البشر، وتقوم الشهادة من المسلمين علىٰ الناس، قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾ [**هود**: ١١٨]، وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾ [**آل عمران**: ١٤٠]، وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ**﴾ [**محمد**: ٤]، وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾ [**البقرة**: ١٤٣]، ونتيجة لذلك فإن الحياة البشرية شهدت وتشهد وستشهد صوراً من الصراع والحوار، فهناك صراع التدافع، وحوار التدافع، فالصراع سنّة كونية وشرعية في هذا الكون، يكون بين الضدين المتنافسين، ويكون بين قوىٰ الحق وقوىٰ الباطل، قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**﴾ [**يونس**: ٣٢]، وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ**﴾ [**البقرة**: ٢٥٧]، فالحوار ينشأ من آثار الصراع أحياناً.

ومن الحوار الذي تتحقق به جوانب من سنّة التدافع؛ الحوار من أجل إبلاغ الدعوة، أو الحوار من أجل التعاون مع الآخرين علىٰ ترسيخ قيم أقرَّتها الشريعة؛ كإقامة العدل ورفع الظلم ومنع الإباحية، أو الحوار لأجل التعاقد معهم علىٰ تبادل المصالح، وكلها أمور شرعية أقرَّتها الشريعة أحكاماً ومارسها المسلمون تطبيقاً.

فالحوار وسيلة لتحقيق أهداف متعددة؛ منها نشر الإسلام، وإقامة الحجة علىٰ الناس، وتصحيح التصورات، والرد علىٰ الشبهات، ومعرفة الآخرين، والاستفادة منهم في أمور الدنيا، ودرء ضررهم علىٰ

(١) لا حظ أن هناك اتجاهاً دولياً لدعم فكرة الحوار كردة فعل للتيار الفكري والسياسي الصدامي الغربي، وخاصة الأمريكي الذي توج فكرياً بأطروحة هنتنجتون «صدام الحضارات»، وسياسياً بوصول المحافظين الجدد إلىٰ البيت الأبيض.

المسلمين؛ من خلال مساحات معينة من المصالح المشتركة والتعاون معهم على إرساء القيم المشتركة التي أقرَّتها الشريعة بل الشرائع عموماً، واتفق عليها البشر في مواثيقهم وعهودهم.

فأحكام الشريعة وتطبيقات المسلمين دلَّت على وجوب مثل ذلك؛ مثل حوار الدعوة، أو إباحته؛ مثل تبادل المصالح والتعاقدات المختلفة على ما ينفع المتعاقدين والمتحاورين، كذلك التعاون والتعاقد على ترسيخ قيم أقرَّتها الشريعة، أو دعت إليها؛ كتحقيق العدل ورفع الظلم ورفض الإباحية، ولنا ـ نحن المسلمين ـ مستند شرعي في مدح النبي ﷺ لحلف الفضول، وهو تحالف بين بني هاشم وبني أمية وبني زهرة وبني مخزوم، وكان في دار عبد الله بن جدعان، على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم، وردِّ الفضول على أهلها، قال فيه رسول الله ﷺ: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أُدعى في الإسلام لأجبت»(١)، فظهر اعتزاز الرسول ﷺ وفخره بالمشاركة في تعزيز مبدأ العدل ورفع الظلم حتى لو صدر من كفار؛ وفي قصة الحديبية أيضاً عندما صد المشركون المسلمين عن البيت الحرام، وبدأت المفاوضات فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده! لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها»(٢)، فالحوار إحدى قيم هذه الشريعة موجهة نحو إقرار العدل والرحمة دائماً وإلى الموادعة في دنيا الناس أحياناً دون إغفال واحدية هذا الدين في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ [**آل عمران**: ١٩]. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [**آل عمران**: ٨٥].

### ثالثاً: أهداف الحوار:

للحوار أهداف من خلال تحديدها ومدى إمكانية تحقيقها يحكم بمشروعيته، ومن خلال تحقيقها أو بعضٍ منها يحكم بنجاحه، وهي:

١ ـ معرفة الحق والوصول إليه، والحق المقصود هنا هو ما جاء به الوحي الرباني الذي نزل على محمد خاتم الأنبياء ﷺ، وهو الإسلام الذي نزل على جميع الأنبياء، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ [**آل عمران**: ١٩]، والشريعة التي نزلت على محمد ﷺ، قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [**آل عمران**: ٨٥]، وأنها ناسخة للأديان والشرائع قبلها، وكتابه مهيمن على الكتب قبله، وأعظم حق في هذا الدين هو التوحيد، وأشنع باطل هو الشرك، وهو الكلمة السواء، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [**آل عمران**: ٦٤].

٢ ـ إعلاء كلمة الله لتكون هي العليا؛ لأن الحوار بهذا المعنى باب من أبواب الجهاد، ـ جهاد الدعوة ـ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾ [**الفرقان**: ٥٢]؛ أي بالقرآن. وكذلك إظهار الدين

(١) مسند أحمد، ١/ ١٩٣، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح. وانظر: السيرة، لابن هشام، ١/ ١٨٢، تحقيق همام سعيد وآخر.
(٢) البخاري، كتاب الشروط، ح/ ٢٧٣١، في أثناء حديث.

من خلال منابر الحوار وممارساته واجب شرعي، قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾ [ **التوبة** : ٣٣ ] .

٣ ـ دعوة الناس إلىٰ الإسلام، كما فعل الرسل ـ عليهم السلام ـ مع أقوامهم، فكانت حواراتهم مع أممهم دعوة إلىٰ الحق، ونبذاً للباطل، وقد أبرز القرآن حوارات عدد من الرسل مع أقوامهم؛ مثل نوح وإبراهيم وموسىٰ ومحمد وغيرهم من الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ .

٤ ـ الدفاع عن الإسلام ورد الشبهات التي تعتور أفهام بعض الخلق عن الإسلام، وبيان حقيقة هذا الدين للناس، وإزالة اللبس الذي يحصل من تلبيس الحق بالباطل، قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [ **البقرة** : ٤٢ ] . هذا التلبيس الذي كان عائقاً دون فهم الإسلام والدخول فيه لدىٰ كثير من الأفراد والمجتمعات حتىٰ المتقدمة منها .

٥ ـ إقامة الحجة علىٰ الناس، والمعذرة إلىٰ الله في الشهادة علىٰ الخلق، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [ **البقرة** : ١٤٣ ] . وقال : ﴿ **وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾ [ **الأعراف** : ١٦٤ ] .

٦ ـ إظهار صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان؛ بإبراز سماحته مع المخالفين، وموافقته للفطرة البشرية، وبيان معجزته التشريعية وشمولها للحياة، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ﴾ [ **الإسراء** : ٩ ]، وإبراز القيم الحضارية المقابلة للقيم الغربية، كالشورىٰ، وحقوق الإنسان، والحرية والعدل، بمفهومها الإسلامي .

٧ ـ بيان التصور الإسلامي الشامل للوجود (الكون والحياة والإنسان)، والذي يشكِّل السمة الثقافية الحضارية العامة والمميزة لهذا الدين علىٰ غيره من الأديان والمذاهب .

٨ ـ نقد بعض القيم الغربية التي تشكِّل معالم بارزة في المنطلقات الفكرية للحضارة الغربية؛ كالانحراف في مفهوم حق الفرد (الفردية)، والجشع والاحتكار (الرأسمالية)، والانحلال والانفلات من قيود القيم الأخلاقية (الليبرالية)، ونقد الممارسات العملية في سياسته الخارجية كالعنصرية، والكيل بمكيالين أو ازدواجية المعايير تجاه الآخرين، ودعم التسلط في العالم الإسلامي .

٩ ـ مواجهة الهيمنة بكل صورها وأشكالها السياسية والاقتصادية والعسكرية، أو علىٰ الأقل التخفيف من غلوائها، والنظر في أسسها الفكرية والثقافية؛ من خلال الحوار بأشكاله المختلفة (منظمة التجارة، مؤسسات الأمم المتحدة، حلف الأطلسي) .

١٠ ـ التعريف بالذات الحضارية ـ عقيدة وقيماً وثقافة ـ وإشاعة ذلك في الأرض، والتعرف علىٰ الآخر المختلف حضارياً من خلال الحوار، ومن ثَمَّ معرفة مساحة المشترك الإنساني الذي يكون فيه التعاون والتبادل والتثاقف، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى** ﴾ [ **المائدة** : ٢ ] .

١١ ـ تخفيف التوتر العالمي الذي يُنذر بدمار شامل على البشرية، وتحقيق التوافق العالمي الذي يمنع العدوان، ويخفف فكرة الصراع والصدام الذي يكون ثمرة للشعور بالاستكبار بسبب القوة، وإزالة الاحتقان بين الحضارات الذي يستثمره القوي ضد الضعيف استثماراً ظالماً، ومنع اغتصاب الموارد بالقوة الغاشمة، أو إعاقة التنمية بروح الاستبداد.

**وخلاصة الأهداف التي يرومها المسلمون من الحوار تدور على ثلاثة مقاصد:**

١ ـ حوار الدعوة؛ لأن الأمة الإسلامية أمة دعوة، ونبيها ﷺ بُعث إلى الناس كافة، والإسلام رسالة للعالمين، قال ـ تعالى ـ: ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [**يوسف**: ١٠٤]، وذلك لنشر التوحيد وإزالة الشرك، وهذا أعلى المقاصد وأسماها.

٢ ـ حوار التعاون على إقامة القيم الجامعة المشتركة التي تلتقي عليها الأمم واتفقت عليها الشرائع السماوية والنظم الدولية؛ مثل العدل ومنع الإفساد في الأرض ورفع الظلم.

٣ ـ حوار التعاقد على الاستفادة العلمية من مخرجات الحضارات الأخرى تقنياً وإنسانياً وإدارياً.

### رابعاً: أسس ومنطلقات في الحوار:

هناك عدد من الثوابت العقدية والفكرية في الإسلام لا بد من استحضارها أثناء الحوار لعلاقتها به؛ من أجل دفع مسيرة الحوار وعدم الزلل والانحراف؛ طلباً لنجاحه ظاهراً، وهي:

١ ـ التمايز العقدي بين المسلمين والكفار: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ [**الكافرون**: ١ ـ ٦]، فالمسلم يتميز عن الكافر تصوراً ومنهجاً وعملاً.

٢ ـ الولاء والبراء الديني أحد ثوابت الاعتقاد، والحب والبغض في الله أوثق عرى الإيمان: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [**المائدة**: ٥١]. وقال: ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [**المجادلة**: ٢٢].

٣ ـ العدواة بين الحق والباطل قديمة وباقية، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾ [**الممتحنة**: ٤]. وهذا المعنى وما سبقه هو ملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ، قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**﴾ [**النساء**: ١٢٥].

٤ ـ البر والإقساط مع الكافر غير المحارب عند التعامل والتعايش معه، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾

[الممتحنة: ٨]، فالبر والصلة والإحسان لا تستلزم التوادد والتحابب المنهي عنه في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فإنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل.

٥ ـ لا إكراه في الدين، وإنما هو البيان والبرهان والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

٦ ـ الجهاد في سبيل الله شعيرة محكمة، وشريعة ماضية إلىٰ يوم القيامة، لا يُبطلها عدل عادل ولا جور جائر، وغايته إعلاء كلمة الله دون إكراه علىٰ الإسلام، والدفاع عن بلاد المسلمين وصد العدوان، وحماية المستضعفين أو نصرتهم. قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥]، فمقصد الجهاد في الإسلام حماية حق الإنسان والدفاع عنه؛ بخلاف كل الحروب الأخرىٰ التي حصلت في التاريخ وتحصل الآن، والتي مقاصدها العلو والهيمنة واغتصاب الموارد.

٧ ـ عموم دعوة النبي ﷺ وعالميتها، قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [ص: ٨٧]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «وكان النبي يُبعث في قومه خاصة، وبُعثت إلىٰ الناس كافة»(١)، فالخلق كلهم أمة لمحمد ﷺ، فمن أسلم فهو من أمة الإجابة، ومن لم يسلم فهو من أمة الدعوة.

٨ ـ هناك رسالات سماوية وليس أديانًا سماوية، فالدين عند الله واحد غير متعدد وهو الإسلام، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وقال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وهذا الدين هو القواسم المشتركة بين الرسالات، كأصول العقائد وقواعد الإيمان وأركانه وليس شرائعه العملية، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

٩ ـ الأصل في علاقة الأمة المسلمة مع غيرها من الأمم هو الدعوة إلىٰ الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وليس الأصل في العلاقة هو الحرب؛ لأن مقصد الجهاد في سبيل الله ـ جهاد الطلب ـ إزالة العوائق التي تقف في وجه الدعوة، وليس أيضاً هو السلام بمفهومه السلبي الذي يُلغي مسؤولية الأمة المسلمة تجاه الأمم الأخرىٰ.

١٠ ـ الوفاء بالعهود والعقود والمواثيق أصل من أصول الشريعة الإسلامية حتىٰ مع الكفار، والعهد يُصيِّر

(١) أخرجه البخاري في كتاب التيمم، رقم (٣٣٥)، ومسلم، رقم (٥٢١) في أثناء حديث.

الكافـر الحـربي معاهداً غيـر حـربي، قال اللـه ـ تعالـى ـ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ** ﴾ [**المائدة**: ١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً** ﴾ [**الإسراء**: ٣٤]، وقد وردت مادة العهد والعقد والميثاق عشرات المرات في القرآن لتأكيد ذلك الأصل.

١١ ـ التدافع والتغالب والاختلاف بين البشر سنّة كونية ربانية، وهو بين الحق والباطل ـ أي بين أصحابهما ـ أمر لا مفر منه، قال ـ تعالى ـ: ﴿ **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ** ﴾ [**البقرة**: ٢٥١]، وقال: ﴿ **وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ [**آل عمران**: ١٤٠]، وقال: ﴿ **وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً** ﴾ [**الفرقان**: ٢٠]، كذلك حوار الحضارات ولقاءات الأمم وتبادل المصالح بين البشر، وتلاقي الثقافات طبيعة إنسانية وحاجة بشرية وحقيقة تاريخية.

١٢ ـ الاعتراف بواقع التعدد الحضاري بوصفه مقتضىٰ لإرادة الله الكونية القدرية؛ لا يتعارض مع وجوب السعي إلىٰ تحقيق عالمية الإسلام وشمول رسالة محمد ﷺ إلىٰ الناس كافة؛ بوصفه مقتضىٰ لإرادة الله الدينية الشرعية، وذلك بالدعوة والحوار والجهاد، وبأي وسيلة مشروعة أخرىٰ لتحقيق هذا الواجب الشرعي.

١٣ ـ هناك فرق بين المشترك الإنساني الذي ينبغي التعاون وتبادل المصالح مع الآخرين فيه، وبين الخصوصيات الثقافية التي يجب المحافظة عليها؛ كثوابت الأمة العقدية والاجتماعية، وهويتها الفكرية والتربوية والسلوكية، ولو خالفت فيها الآخرين، وهذه الخصوصية تقي القيم والثوابت من الذوبان والانحلال؛ دون التقوقع والانغلاق والنفور من الآخرين.

١٤ ـ وأخيراً: قناعة المحاور المسلم بأن أفضل وسيلة لخدمة البشرية ونفع الإنسانية؛ هي أن نتعامل معها بأخلاق الإسلام، ونتعاون معها حسب أحكام الإسلام، وننفعها بتبليغها الإسلام، ففي الإسلام جاء تكريمها، ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾ [**الإسراء**: ٧٠]، وجعل ميزان التفاضل بين أفرادها وأجناسها التقوىٰ وليس غيرها، ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [**الحجرات**: ١٣]، ونهىٰ عن الظلم بلفظ عام يشمل جميع الأنواع: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى** ﴾ [**المائدة**: ٨]، وقد أحسن الشيخ عبد الحميد بن باديس عندما قرر هذا المعنىٰ، وهو أن العيش للإنسانية لا يتم إلا بالعيش للإسلام(١).

### خامساً: عوامل نجاح الحوار:

**هناك عدد من العوامل التي يجب أن يتمثلها المحاور المسلم، وأخرى ضرورية لطرفي الحوار من أجل نجاحه وتحقيق أهدافه:**

١ ـ معرفة المحاور الآخر المختلف حضارياً علىٰ حقيقته؛ من خلال مصادره ودون وساطة ـ ما أمكن ـ، ومعرفة موقفه من الآخرين، وهل هذا الموقف يعبِّر عن كل التيارات والطبقات في مجتمعه؟ ومعرفة مظاهر

(١) آثار ابن باديس، ٤/ ١٠٩.

القوة ومظاهر الضعف في حضارته، الظاهر منها والخفي، وبمعنىٰ آخر تفكيك الآخر من أجل فهمه علىٰ حقيقته؛ حتىٰ لا يُهوَّن من شأنه، أو يُهوَّل من أمره، وقد حفل القرآن بحديث كثير عن الجاهلية ومعتقداتها وأوضاعها المختلفة.

٢ ـ الاعتراف بواقع الآخر، وهذا الاعتراف شرط للتعامل والحوار؛ حتىٰ يحصل التفاهم المتبادل الذي هو شرط لنجاح الحوار، وحتىٰ يحصل قبول للحق والصواب الذي لدىٰ الآخر إن وجد، فالتعدد والاختلاف سبب وجود الحوار وسر ديمومته، وأما شعور الغرب بالفوقية والرغبة بالإملاء؛ فهذا يجعل الحوار عديم الجدوىٰ، عقيم الفائدة.

٣ ـ تحديد أهداف الحوار أولاً، ووضوحها لدىٰ المتحاورين، ثم البحث في الآليات والمحتوىٰ بعد ذلك، وهي المنهجية الإدارية التي تقي من تضييع الأوقات والجهود بلا طائل.

٤ ـ المنهجية العلمية في الحوار ما أمكن، فيبدأ بالأصل قبل الفرع، وبالسبب قبل المسبب، وبالمقدمة قبل النتيجة، وعدم تعميم الأحكام وهي خاصة، أو إطلاق المواقف وهي مقيَّدة. . وهكذا الحذر والحيطة من الأساليب الملتوية والمواقف الخادعة التي تمارس أحياناً في مثل هذه المناسبات.

٥ ـ فَهْمُ لغة الآخر فهماً جيداً، وتحديد معاني المصطلحات، وإدراك المواقف غير معزولة عن سياقاتها التاريخية والواقعية، ولا عن أبعادها الثقافية والدينية.

٦ ـ تحديد نوع الحوار؛ هل هو حوار سياسي، أو حوار أديان، أو حوار ثقافات فلكل نوع من هذا الأنواع أهداف وأشخاص وطبيعة؛ فالأول يقوم عليه السياسيون، وأهدافه تحقيق مصالح سياسية، والثاني يقوم عليه علماء الدين ورجاله، ويهدف إلىٰ المساجلة الدينية، والثالث يقوم عليه المثقفون والمفكرون، ويهدف إلىٰ حوار حول قضايا الفكر والثقافة المجردة، وأيضاً القضايا الفكرية ذوات الأبعاد السياسية والدينية.

٧ ـ الالتزام بالثوابت، وتعريف الآخر بها، وعدم التدليس عليه، رغبة في تسويق الذات أمام الآخر؛ مع إعمال فقه السياسة الشرعية بالنسبة للمحاور المسلم، والقائم علىٰ تحقيق المصالح ودرء المفاسد، وعلىٰ فقه الموازنات والأولويات.

٨ ـ التكافؤ بين أطراف الحوار ليس شرطاً لقيامه لكنه عامل مهم لنجاحه؛ لأن الأضعف مادياً قد يكون أقوىٰ فكرياً؛ ولذا يحتاج الضعيف مادياً ـ وهم المسلمون ـ إلىٰ استدعاء عوامل القوة المعنوية الذاتية في الإسلام والمسلمين أثناء الحوار؛ لأن الحوار والقوة يتكاملان، فالقوة تحمل الأطراف علىٰ احترام النتائج والتوازن في الأهداف، ثم الشعور بالأمن والطمأنينة لإجراء حوار متكافئ؛ لأن أجواء التهديد والملاحقة الأمنية والإرهاب الفكري لن يجعل الحوار ذا جدوىٰ.

٩ ـ أن تشارك المجتمعات في الحوار؛ أي تشارك به مؤسسات المجتمع وليس فقط الدول؛ لأن احتكار المؤسسات الرسمية للحوار يضرُّ به؛ ولأن الدول لها ضروراتها السياسية التي ستؤثر في الحوار المطلوب

والمقصود، وحتىٰ ينجح الحوار لا بد من وجود ممثلي الشعوب والتيارات الفكرية الشعبية في الحوار؛ ولا يكون حواراً نخوبياً.

١٠ ـ عدم الإغراق في التفاؤل بالنتائج التي يمكن أن تحدث من حوار الحضارات، وكذلك عدم التشاؤم بسبب عدم جدوىٰ الحوارات السابقة، وبسبب الوضع الدولي الراهن، وبسبب العوائق التي يدفع بها خوف الضعيف وهيمنة القوي؛ لأن من أهداف الحوار لدىٰ المسلمين إقامة البلاغ والشهادة علىٰ الناس، ولو لم تحصل النتائج العملية، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ**﴾ [**الغاشية**: ٢١]، وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ**﴾ [**الشورى**: ٤٨].

١١ ـ التقريب بين الأذهان بذكر الأصول والقيم والمصالح المشتركة بين الأمم؛ مقدمة مهمة لتحقيق نتائج عملية وتعاون مشترك في المجالات المختلفة، كما أن الموضوعية وسيلة منهجية ضرورية في البحث عن الحق ـ كهدف إنساني ـ الذي هو في مصلحة الفريقين.

١٢ ـ أن يمثل المحاورون من كل طرف الأسس والثقافة التي قامت عليها حضارته، والتي تمثل الخلفيات والمنطلقات الفكرية للمواقف السائدة في هذه الحضارة، وما يتبناه السواد الأعظم، ولا يناسب تمثيل المنحرفين ثقافياً في أي من الطرفين؛ منعاً للتدليس علىٰ الآخر الذي يحصل من جراء ذلك بسبب عدم التمثيل الحقيقي.

١٣ ـ تعريف الآخرين بالإسلام علىٰ حقيقته، وليس فقط الجانب المرغوب من الآخرين فقط؛ كالتسامح والحب والرحمة، بل وما يقابل ذلك مما هو من حقائق هذا الدين؛ كمفهوم الجهاد في الإسلام ومقاصده وبواعثه ومفهوم الولاء والبراء وغيرهما، فَعَرْضُ الإسلام عرضاً كاملاً، والتعريف به تعريفاً صحيحاً، يكون له أثر كبير في احترام المسلمين وقبول الإسلام، وأنجح للحوار المطلوب.

١٤ ـ أن نحاور الآخرين بمبادئنا وعقائدنا وقيمنا كما جاءت في القرآن الكريم والسنّة النبوية المشرَّفة، وكما طبقها محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وخلفاؤه الراشدون، وكذلك بالنماذج الحضارية المشرقة في تاريخنا عندما امتدت الفتوحات الإسلامية وانتشرت الحضارة الإسلامية؛ دون انحرافات الأوضاع السياسية التاريخية والمعاصرة، ودون الواقع وحال العصر المنحرف للمسلمين، وهذا الانحراف لا يلزم المحاورين المسلمين لعدم إقرار الإسلام له.

١٥ ـ الحجة والبيان والعلم ضرورات للمحاورين لإقناع الآخرين بما لديهم، ومن ثَـمَّ قبولهم بما عندك؛ إذ لا يكفي أن تعلن أن ما عندك هو الحق، بل لا بد أن يكون مدعوماً بالأدلة العلمية والعقلية والتاريخية.

١٦ ـ الإنصاف والعدل مع الآخرين ولو كانوا كفاراً كارهين لنا ونحن كارهون لهم، قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ [**المائدة**: ٨]، فما عندهم من حق وعلم وخير لا بد أن نعترف به، وما لهم من صفات حسنة نذكرها لهم، ومن ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه عن المستورد القرشي ـ رضي الله عنه ـ قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقوم الساعة والروم أكثر الناس»، فقال

له عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ أَبْصِرْ ما تقول! قال: أقول ما سمعتُ من رسول الله ﷺ. قال: لئن قلتَ ذلك، إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرَّة بعد فرَّة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك»(١). فالحضارة الغربية في قرونها الأخيرة فرضت نفسها على الواقع الأرضي بإنجازاتها التقنية المختلفة وبتأصيلاتها العلمية المنهجية المختلفة، وطرحت رؤىٰ وطرائق في الحياة لها أثرها الضخم في الحياة البشرية، وهذه وإن لم نتفق معها في بعضها فلا يمكن إغفالها وعدم الاعتراف بها.

١٧ ـ إحسان مقدمات الحوار والمداخل إلى النفوس وسيلة لنجاحه، وذلك بعرض بعض حقائق الإسلام المناسبة كمقدمات للحوار؛ مثل:

ـ بيان معنىٰ قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ**﴾ [**المؤمنون**: ١١٥]، وذلك بالأدلة العقلية والنقلية.

ـ التعريف بأن الإسلام جاء خطاباً للبشر جميعاً؛ فتجاوز الجنس واللون والمكان، وخاطبهم جميعاً بأنهم من أب واحد وأم واحدة، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [**النساء**: ١]، وجعل ميزان التفاضل هو التقوىٰ، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [**الحجرات**: ١٣].

ـ أن الإسلام احترم تعدد الشعوب والقبائل واللغات واعتبرها من آيات الله، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ**﴾ [**الروم**: ٢٢]، واعتبر أن من مقاصد التعددية هو التعارف، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [**الحجرات**: ١٣]. وأنها أيضاً من مقتضىٰ حكمة الرب ـ سبحانه وتعالىٰ ـ فقال: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا**﴾ [**المائدة**: ٤٨].

ـ أنه في الوقت الذي دعا الإسلام إلىٰ تدبر آيات الله المتلوّة؛ فإنه اعتمد الأدلة العقلية والبرهان في التفكير، ودعا إلىٰ التدبر في آيات الله الكونية والنفسية، قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [**فصلت**: ٥٣].

ـ أن الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أمر بالاعتبار بمصائر الغابرين ومصارعهم عندما كذَّبوا الأنبياء وحرَّفوا الكتب المنزّلة وكفروا بالإسلام الذي جاءت به الرسل، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ**﴾ [**الروم**: ٤٢].

ـ أن الوظيفة الإسلامية هي الدعوة والبلاغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة، ومن الحكمة أن

(١) رواه مسلم، رقم (٢٨٩٨).

تكون عن طريق الحوار، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ** ﴾ [**الحج**: ٤١]، وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [**فصلت**: ٣٣]، وليس من مسؤوليتها أن يهتدي الناس وأن يقبلوا الإسلام بعد ذلك، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ** ﴾ [**البقرة**: ٢٧٢]، وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ** ﴾ [**الشورى**: ٤٨]، وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ** ﴾ [**القصص**: ٥٦].

### سادساً: مضامين الحوار:

وهي الموضوعات التي يقوم من أجلها الحوار ويجري حولها، وحيث إن الحوار من خلال أهدافه له أوجه تحدد نوع المضامين المطروحة كمادة للحوار؛ فلذا سوف أقوم بتحديد المضامين حسب نوع الحوار:

**١ ـ حوار الدعوة**: وتتحدد مضامينه بالمعاني الجامعة التي اتفقت عليها الرسالات من خلال:

أ ـ الكلمة السواء التي جاء ذكرها في سورة آل عمران: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ** ﴾ [**آل عمران**: ٦٤]، وهذه الآية جاءت تعقيباً على حوار النبي ﷺ مع نصارىٰ نجران، وهذه هي قضية الاستسلام لله بالتوحيد والخلوص له من الشرك، وهو المقصد الأكبر من إرسال الرسل وإنزال الكتب، قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ [**الأنبياء**: ٢٥]، وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [**النحل**: ٣٦]، ولذا ستكون أولىٰ مهام حوار الدعوة مع النصارىٰ عقيدة التثليث والشرك، ومع اليهود عقائدهم الفاسدة في الله سبحانه وتعالىٰ.

ب ـ المحكمات في الشريعة الإسلامية، وهي محكمات كذلك في الشرائع السماوية الأخرىٰ قبل تحريفها، وتجمعها آيات جاءت في سورة الأنعام، وسورة الإسراء، قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ إلىٰ قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [**الأنعام**: ١٥٢]، وفي سورة الإسراء من قوله: ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا** ﴾، إلىٰ قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا** ﴾ [**الإسراء**: ٣٩]، وهذه المحكمات تضمنت ـ بالإضافة إلىٰ النهي عن الشرك المذكور في مضمون الكلمة السواء ـ النهي عن القتل، والإحسان إلىٰ الوالدين، وعدم قربان الفواحش، والعدل في القول والعمل، والوفاء بالعهود والمواثيق، ومنع الظلم علىٰ الأنفس والأموال والأعراف والحقوق.

ج ـ بيان التصور الإسلامي عن الكون والحياة والإنسان، والذي هو المقوّم الرئيس للحضارة الإسلامية، والذي لا يملك الآخرون فيه شيئاً مقنعاً، بينما يملك المسلمون فيه إجابات مقنعة عن الأسئلة الكبرىٰ للإنسان في

هذا الوجود، وهذا مدخل مهم في تحوّل كثير من غير المسلمين إلىٰ الإسلام.

**٢ ـ الحوار الاجتماعي**: ويختص بالمسألة الاجتماعية المتعلقة ببناء المجتمع وانضباطه الأخلاقي، وهذه المسألة من أوسع وأنشط القضايا التي يجري فيها حوار بين الأمم من خلال مؤتمرات أممية وإقليمية، ومفردات هذه المسألة الأساسية هي: طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة، ومفهوم الأسرة، ومكانة عقد الزواج، وقضايا الإجهاض والشذوذ والزنا، ومكافحة التمييز ضد المرأة، ومكافحة الإباحية، وتختلف الرؤية الإسلامية اختلافاً واضحاً عن الرؤية الغربية تجاه هذه القضايا، وما حصل في مؤتمري (القاهرة، وبكين) حول الأسرة والمرأة من تكريس للرؤية الغربية حول هذه القضايا، ومعارضة إسلامية؛ نموذج لهذا التباين الذي يمكن أن يكون مادة للحوار الجاد بين المسلمين وغيرهم.

**٣ ـ الحوار الثقافي والفكري**: ومقصده التحاور حول القيم الثقافية ذوات المضامين الفكرية والسياسية، وهذا ميدان واسع وحيوي يتعلق بمصادر المعرفة، وبناء الدولة الحديثة والمجتمع الفعال، وتحقيق التوازن بينها، ومفردات هذا الحوار كثيرة؛ من أهمها:

أ ـ الأسس المعرفية أو مصادر المعرفة، والتي تحدد مضامين الحوار، وسيدور الحوار هنا حول الوحي والعقل والواقع، وعلاقتها بعضها ببعض، وموثوقية المخرجات لها، وعلاقة العقل بالنقل، والفرق بين المسلمين وغيرهم في حجية هذه المصادر.

ب ـ الشورىٰ والديمقراطية وما يتعلق بهما؛ كعلاقة السلطات بعضها ببعض، ومدىٰ الفصل بينها، واستقلال القضاء، ومفهوم السيادة، ومصادر التشريع، والمسألة الدستورية.

ج ـ حقوق الإنسان وما يتعلق بهذه المسألة؛ مثل مفهوم التمييز، ومفهوم المساواة، والتوازن بين حق الفرد وحق المجتمع، وهي قضية تثير جدلاً بين المسلمين وغيرهم؛ لأن المفهوم الغربي للحقوق برؤيته العلمانية تجاوز مفهوم الحق الطبيعي إلىٰ الحق الشرعي، فاعتدىٰ عليه فجاءت وثائق حقوق الإنسان تلبس الحق بالباطل، وسبب ذلك أن فكرة الحقوق نضجت عند الغرب في الفترة التي انتصرت فيها فكرة المجتمع المدني علىٰ المجتمع الديني، فاستصحبت هذه الفكرة استبعاد أحكام الدين جملة وتفصيلاً، كذلك غياب المسلمين أثناء صياغة هذه الوثائق والصكوك الحقوقية له أثر في ظهورها بصورتها العلمانية المغالية في الفردية.

د ـ العلاقة بين الحاكم والمحكوم أو بين الدولة والمواطن، ويدخل في ذلك مفهوم البيعة أو العقد الاجتماعي والمسألة الدستورية، ومفهوم المواطنة والحقوق والواجبات المتبادلة، ومفهوم المجتمع المدني، والتوازن في السلطات بين مؤسسة الدولة ومؤسسات المجتمع.

هـ ـ قضايا الحرب والسلام والعلاقات الدولية، ومضامينها كثيرة؛ مثل الأعراف السياسية والدبلوماسية، وحقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام، ومفهوم دارالإسلام ودار الحرب في الشريعة، والجهاد في سبيل الله وأحكامه، وقضايا العولمة المعاصرة وآلياتها المختلفة.

والقانون الدولي، والاتفاقيات والمواثيق الدولية، والتنظيم الدولي. ومقصد الحوار حق المطالبة بإعادة صياغة التنظيم الدولي لرفع الظلم والاستبداد، باعتبار حقوق المسلمين، كذلك إعادة النظر في المواثيق والصكوك الدولية التي لم تراع ثوابت المسلمين.

**٤ ـ حوار المصالح المشتركة**: على مستوىٰ عالمي، أو على مستوىٰ أقل بين دولتين أو أكثر، في المجالات المختلفة؛ مثل تنظيم التجارة الدولية؛ في المجال الاقتصادي، ومكافحة الإيدز والمخدرات؛ في المجال الصحي، والتعاون الدولي؛ في المجال التقني، والمحافظة على البيئة، ومصادر الطاقة، والمياه؛ في المجال العام، ومكافحة الجريمة المنظمة؛ في المجال الأمني، وفي مجالات أخرىٰ كثيرة.

## سابعاً: الموقف الغربي:

عندما نتحدث عن حوار الحضارات؛ نقصد ـ من حيث الأصل ـ جميع الحضارات التي يمكن أن يجري معها الحوار وينتفع منه المسلمون، لكن نظراً لهيمنة الحضارة الغربية على الحضارات الأخرىٰ لدرجة أن التغريب اجتاح معظم هذه الحضارات وإن بنسب متفاوتة؛ فإن المقصود بالدرجة الأولىٰ بالحوار في هذا الوقت الحضارة الغربية؛ لأنها ـ كما قلنا ـ حضارة مهيمنة متغلبة لها فكر وثقافة وتاريخ وحاضر قوي، ولها مشكلة تاريخية ومعاصرة مع المسلمين؛ باعتبار أن الإسلام ديناً وعقيدة وثقافة ما زال باقياً ـ وإن تراجع أهله حضارياً ـ؛ في الوقت الذي انهزمت فيه الحضارات والثقافات الأخرىٰ مع الغرب، وما زال أتباعه ـ أي الإسلام ـ يرفعون دعوىٰ عريضة بأن الإسلام يشكِّل بديلاً حضارياً عالمياً للحضارة الغربية، وقد أقام منظرو الفكر الصِّدَامي بين الحضارات نظريتهم على أساس أن الإسلام هو الحضارة الوحيدة التي تقف في طرف والغرب في الطرف الآخر في ميدان الصراع والصدام، خاصة بعد سقوط المعسكر الشرقي، ولذا نجد في كثير من المواقف أن هذه الحضارة لا تريد أن تحاور بالمفهوم الإنساني للحوار، وإنما بمفهوم حوار المستكبرين، يظهر ذلك من خلال الاستقراء لموقف الغرب سابقاً، واللافتات التي يرفعها لاحقاً، والتي تشكِّل طبيعة الموقف الغربي، وخاصة الموقف الديني والموقف السياسي.

**١ ـ الموقف الديني**:

هناك عدد من المحددات تبين علاقة هذه الحضارة بالدين وموقفها منه، وهي:

**أ ـ العلاقة بين الواقع والدين**: الفكر العلماني الغربي قام أساساً على تنحية الدين عن الحياة، فهي حضارة دنيوية صرفة، وأصحابها على رؤيتين في النظر إلى الدين؛ رؤية علمانية مضادة للدين (anti relegous secularism)؛ بحيث لا تقبل حتىٰ صور الممارسة الشخصية للدين؛ مثل ما كان يحدث في الدول الشيوعية قبل سقوطها. والرؤية الأخرىٰ هي التي تسمح للتدين الشخصي بالوجود، ولا تمنع رسومه وطقوسه (non relegous secularism)؛ مثل ما يحدث في المجتمعات الغربية، وهذه الرؤية هي ثمرة صراع مرير بين الدين (الكنيسة) وبين العلم والعقل والواقع، وقد انتهت بانتصار تاريخي ضد الكنيسة ممثلة الدين؛ بحيث بقيت لا علاقة لها بشؤون الحياة، وهكذا وُلِدَ الفكر الغربي المعاصر مُسْتَبْعِداً فكرة وجود علاقة للدين ـ كلّ دين ـ بأي

شأن من شؤون الحياة.

**ب ـ العلاقة بين العقل والدين (الكنيسة)**: هناك مشكلة لدىٰ كثير من المفكرين الغربيين في هذه العلاقة، فالكنيسة تريد منهم القبول بأمور لا يقبلها العقل، والعقل هو الأساس في التطور البشري، والذي جعل الغربي يسود علىٰ غيره من الأمم، وهو الذي حقق النهضة العلمية، فهناك إشكالية لدىٰ الكثير منهم في التوفيق بين ما تريده الكنيسة وبين متطلبات العقل والعلم، وعقيدة التثليث لدىٰ النصارىٰ نموذج لهذه الإشكالية، وكما يقال: لو طرحت سؤالاً علىٰ عشرة قساوسة لحصلت علىٰ أحد عشر جواباً.

**ج ـ ضعف التوثيق التاريخي لمصادر الدين لدى الغربيين**: واحتمال وجود التحريف فيها؛ جعل كثيراً من الباحثين يتوقف في درجة الوثوق بهذه المصادر، ودفعت بعضهم إلىٰ الإلحاد المطلق، وبآخرين إلىٰ الالتحاق بأديان أخرىٰ كان من أكثرها الإسلام.

**د ـ أديان الكنائس التقليدية في العالم الغربي لا يعتنقها كثير من الناس**: وهناك عزوف كبير عن التيارات الكنسية التقليدية التاريخية إلىٰ أفكار ومعتقدات ملفقة، فضلاً عن انتشار الفرق والطوائف والانقسامات التي تقيم لنفسها كنائس مستقلة أو تلغي فكرة الكنيسة أصلاً.

**هـ ـ ومما ينبني على ما سبق**: إدراك أن الحضارة الغربية بسماتها الاعتبارية ليست حضارة نصرانية أو يهودية؛ لأنها أدارت ظهرها للدين ولو كان محرفاً، ورجعت إلىٰ الفكر الروماني، فهي حضارة شركية إلحادية، فالديمقراطية الحكم فيها للشعب وليس لله، والحقوق فيها هي الحقوق الطبيعية ـ حسب فلسفتهم ـ وليست الشرعية، والرأسمالية تريد أن تفعل في أموالها ما تشاء مثل مشركي قوم شعيب، فالمشكلة مع الحضارة الغربية في الأصول والمنطلقات ومصادر التلقّي والمعرفة؛ أي في الإيمان والكفر والشرك والتوحيد والعقل والنقل.

و ـ مع ما سبق؛ فإن هناك بعداً دينياً له تأثيره في السياسة الخارجية الغربية مع المسلمين، وتستدعيه العقلية الغربية؛ خاصة في أثناء الصراعات والحروب بالرغم من علمانية نُظُمها، ويزداد هذا التأثير مع بروز صحوة دينية في المجتمع الغربي؛ خاصة تأثير الإنجيليين الصهاينة في الولايات المتحدة الأمريكية، ونجد هذا البعد ظاهراً في تصريحات الساسة الغربيين بشكل سافر بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م.

**٢ ـ الموقف السياسي**:

يتمثل هذا الموقف في صور من المواقف الغربية حول عدد من القضايا ذوات العلاقة بالآخرين؛ خاصة بالإسلام والمسلمين:

**أ ـ الاستعلاء والنزوع إلى الهيمنة على الآخرين**: وآثارها ظاهرة؛ كالاستعمار القديم، والجديد، وسرقة موارد الآخرين، واستخدام آليات العولمة في ذلك.

**ب ـ نفي الآخر سياسياً واقتصادياً وثقافياً**: وكأمثلة صارخة علىٰ هذا النفي: حق العضوية الدائمة في

مجلس الأمن، وحق الفيتو في المجال السياسي، ومؤتمرات السبع الكبار الصناعية التي ترسم السياسة الاقتصادية العالمية؛ حيث تنفي وجود الآخرين، وكذلك في المؤتمرات المعنية بالشأن الاجتماعي؛ كمؤتمرات المرأة والسكان؛ حيث تنفي ثقافة الآخرين.

ج ـ **العنصرية**: حيث الشعور بالتميز على الآخرين، وحصر تطبيق القيم الحضارية على مجتمعاته فقط؛ كحقوق الإنسان والديمقراطية والحرية وحق امتلاك التقنية، وهذه العنصرية تبرز حتى أثناء الحوار(١).

د ـ **ازدواجية المعايير**: وهذا الموقف ظاهر في طبيعة الموقف الغربي من العرب وإسرائيل، وكذلك يظهر في كيفية التعامل الغربي مع المشكلات التي بين طرف مسلم وطرف غير مسلم، وكأمثلة على ذلك نجدهم في الوقت الذي دعموا انفصال تيمور الشرقية وحركة قرنق كحركتين مسيحيتين ضد دولتين مسلمتين؛ نجدهم يقفون ضد تقرير المصير للكشميريين المسلمين وحركة تحرير مورو المسلمة مع الهند والفلبين غير المسلمتين.

هـ ـ **اتهام الإسلام بتشجيع الإرهاب وبالدموية ضد الآخرين**: وتدمير المنشآت والتخريب، وأنواع كثيرة من التشويه التي لم تعد تظهر فقط في كتابات بعض المستشرقين أو في خطابات بعض رجال الدين، وإنما تفوَّه بها الزعماء السياسيون.

و ـ **تزييف أسباب الصراع**: فيروِّجون أن الأمم غير الغربية ـ وخاصة المسلمين ـ تصارع القيم الإنسانية الحضارية التي يؤمن بها الغرب؛ كالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، وأن المسلمين يمثِّلون نقائض هذه القيم، وهي الاستبداد والظلم والقهر بوحي من الإسلام، وخطابات بوش في تسويغ حربه على أفغانستان والعراق شاهد على هذا التزييف.

ز ـ **وضع مصطلحات وتفسيرها حسب رؤيتهم**: ومحاولة إلزام الأمم المتحدة والعالم بهذا التفسير لهذه المصطلحات؛ مثل مصطلح الإرهاب، ومصطلح التطرف.

**وبعد بيان طبيعة الموقف الغربي؛ هل هناك جدوى من الحوار؟**

نقول إن الحوار لن يكون سهلاً مع هؤلاء القوم؛ خاصة في هذه المرحلة، لكن طبيعة الموقف هذا لا تمنع قيام الحوار والتفاعل معه؛ لأن هناك قطاعات كبيرة من الشعوب الغربية لم تسمع شيئاً عن الإسلام، وهناك أعداد كثيرة من المثقفين والمفكرين الغربيين ليسوا متوافقين مع طبيعة الموقف الغربي السائد، ولأن هناك العديد من البشر يبحثون عن الدين الحق، ويدخلون في حوارات ونقاشات ترتكز على أهمية مبدئية للدين، ولأن مقتضى كون المسلمين شهداء على الناس يدفعهم إلى مزاحمة الحضارة الغربية لئلا تنفرد وتتمكن من صياغة العالم ثقافياً وحضارياً وفق أنموذجها، ولأنه لدى المسلمين من عوامل القوة الذاتية الدينية والدنيوية؛ ما يدفع الغرب إلى تغيير موقفه من المسلمين ودينهم وثقافتهم، أو تهذيبه ـ على الأقل ـ إذ أُحسن توظيف هذه العوامل لإنجاح الحوار.

(١) كمثال على ذلك: الحوار بين الشمال والجنوب، أو الحوارات التي تتعلق بالقضية الفلسطينية.

**ثامناً: محترزات ومحاذير:**

من أجل إنجاح الحوار وتحقيق الأهداف؛ هناك عدد من المحترزات والمحاذير التي ينبغي لأهل الحوار أن يراعوها أثناء الإعداد والتنفيذ:

* ألا يوصل التحاور إلى شيء وسطي فيما يخص ثوابت الدين والشريعة، ولا أن نترخص في أمر معلوم من الدين بالضرورة؛ بدعوى التمهيد وتهيئة أجواء التفاهم؛ والحوار لأنه لن يكون مقبولاً إسلامياً، قال ـ تعالى ـ: ﴿ **وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ** ﴾ [ **القلم**: ٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ **لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً** ﴾ [ **الإسراء**: ٧٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ **وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾ [ **المائدة**: ٤٩].

* قيام الحوار مع الشعور بالضعف والهزيمة ـ خاصة المعنوية ـ؛ يؤدي إلى انحراف في عرض الإسلام في المنتديات العالمية، ولذا نجد لغة اعتذارية سائدة في الحديث عن الإسلام من بعض المسلمين؛ خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، وتبرز في مثل هذه الظروف مصطلحات التسامح والرحمة والمحبة واللين مع الآخر، وهذه مصطلحات شرعية صحيحة، وهي جزء من قيم هذا الدين، لكن هناك مصطلحات تقابلها هي الجزء الآخر من قيم هذا الدين؛ مثل الجهاد والولاء والبراء ودار الكفر ودار الإسلام.. وغيرها.

* عدم التراجع عندما يهز الغرب قوته المادية في وجوه المسلمين، ويحول دون الوصول إلى بلدانه أو مؤسساته الرئيسة؛ لأنه لا يمكن أن يحول دون الوصول إلى قلوب الناس، وكثيراً ما يكون المتغلب مادياً مهزوماً فكرياً، فلربما يهتدي كثير من أفراد القوي مادياً والمنتصر عسكرياً، ودخول كثير من الجنود الأمريكان في الإسلام أثناء حرب الخليج الثانية مثال على ذلك.

* وجود جماعات عنصرية متطرفة ترفض الحوار وتستفز المسلمين في مجتمعات الحضارات الأخرى، كجماعات البيض العنصريين في أمريكا، أو الهندوس المتطرفين في الهند، لا يمنع محاولة الحوار مع هذه المجتمعات؛ لأن الحوار له مقاصد تتجاوز موقف هؤلاء العنصريين، ولأن هؤلاء ليسوا هم الأغلبية في كل الأحوال.

* عندما يلاحقنا الغرب بالاتهامات التي يوجهها إلى الإسلام أو مصادره أو آليات فهمه وتعليمه؛ يجب ألا نكتفي بالدفاع (جهاد الدفع الفكري) فقط ونُشغل به؛ بل علينا مع الدفاع أن نتقدم في ميدان الحوار والدعوة، (جهاد الطلب الفكري)، وأن نبين عوار كثير من القيم الغربية وآثارها على مجتمعاتهم، وتميُّز قيم الإسلام الحقيقية على قيم الليبرالية.

* عندما يهاجم الغرب أحوال المسلمين السياسية والاجتماعية؛ يجب ألا ندافع دفاعاً ساذجاً عن هذه الأوضاع الفاسدة، وأن نقر بفساد أوضاعنا السياسية والاقتصادية والحقوقية؛ لكن نعي أن الغرب لم يكل التهم لنا من أجل إصلاح الأحوال وإنقاذ الشعوب من طغيان الأنظمة؛ وإنما يريد إحلال قيمه الغربية، أو يريد في كثير من الأحيان ابتزاز الحكام والضغط عليهم لتسهيل مصالحه وتنفيذ إرادته السياسية.

* أن الدعوة إلىٰ الحوار قد تتلبس بالدعوات المشبوهة لوحدة الأديان أو تؤول إليها، ويوجد فيمن ينتسب إلىٰ الأديان بما فيها الدين الإسلامي مَنْ يدعون إلىٰ ذلك؛ مثل دعوة روجيه جارودي الذي يدعو لما يسميه «الدين الإبراهيمي»؛ أي ما يوحِّد المنتسبين إلىٰ إبراهيم عليه السلام، وهم المسلمون واليهود والنصارىٰ[1]، وهي دعوة خطرة لم ينتبه لها؛ بسبب أنها تأتي من مفكر مشهور فرنسي انتسب إلىٰ الإسلام[2]، وعلىٰ مستوىٰ المنظمات؛ فإن المنتدىٰ العالمي للسلام والدين (WCRP) ـ في شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية، وله فروع في أكثر من سبعين دولة ـ أقيم في الأصل لتوحيد الأديان حتىٰ الوثنية منها قبل أن يتحول إلىٰ برلمان الأديان.

* عدم تمكين الآخرين من اختيار من يحاورون؛ لأنهم قد يختارون من يمثِّل ثقافتهم، فيكون من نوع الحوار مع النفس[3]. ثم الحذر من تصدي غير المؤهلين علمياً أو واقعياً مع عدم الدربة والتدريب والتنسيق والفردية؛ لأنه يُحدث سلبيات غير محمودة.

* الحذر من التلبيس والتلفيق الديني من أي طرف كسباً للطرف الآخر، وعدم تعريض الحوار للاستغلال السياسي؛ خاصة الجمعيات التي أنشئت لأغراض سياسية، أو أن يبقىٰ الحوار في غرف مغلقة مع النخب فقط محجوباً عن الرأي العام والجماهير العريضة.

* عدم الانخراط أثناء الحوار في القضايا التفصيلية قبل القضايا الكلية، أو الاستغراق في المسائل الاجتهادية، وإنما يكون الحوار في الكليات والمحكمات والجوامع، وأن نتخلص في لغتنا الحوارية من نبرات الانفعال المتشنج الذي يحجب الحق في كثير من الأحيان؛ مهما استفزنا الآخرون وشعرنا بمرارة الظلم والاستعلاء.

### تاسعاً: آليات الحوار:

إن أفضل حوار يمكن أن يُحدث تأثيراً وقبولاً لدىٰ الآخرين، وينتزع اعترافهم واحترامهم للمسلمين؛ هو الحوار بطريق القدوة الفردية والاجتماعية؛ وهو أن يتحدث الواقع نفسه عنهم عندما يتغير هذا الواقع من صورته السيئة التي تفتن كثيراً من الناس وتصدهم عن سبيل الله؛ لأن كثيراً من الأفراد في الأمم المختلفة يحكمون علىٰ الإسلام من خلال واقع المسلمين، ولذا نجد أن صوتنا غير مسموع، وصورتنا غير مشاهدة، وتقضىٰ أمور العالم دون رأي المسلمين لضعف تأثيرهم العالمي وسوء واقعهم الحالي، قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [**الرعد**: ١١]، وقد نصَّ الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ علىٰ بني إسرائيل عندما خالفت أقوالهم أفعالهم، فقال: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾ [**البقرة**: ٤٤]، كذلك قال

(١) هناك هيئة أمريكية أوروبية تُسمّىٰ «المجلس العالمي للمسيحيين واليهود» (ICCJ)، مهمتها الحوار بين الديانتين، ثم أشركوا المسلمين بعد تزايد الاهتمام بصعود الإسلام وزيادة أتباعه ومعتنقيه من الغربيين، وذلك من خلال تشكيل جناح من الهيئة نفسها، اصطُلح علىٰ تسميته بـ«المنتدىٰ الإبراهيمي».

(٢) هذا لا ينفي وجود بعض الرؤىٰ الجيدة لهذا المفكر؛ خاصة في توصيفه للحضارة الغربية، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك في قضية حوار الحضارات، انظر كتابيه: (حوار الحضارات)، و (حفارو القبور).

(٣) والمقصود هو التيار العلماني داخل المجتمعات الإسلامية، تذكَّر أدوارهم السيئة في التعدي علىٰ أصول الدين وقيم الشريعة، ودفعهم لمجتمعاتهم لتبديل دينها والدخول في دين العولمة الليبرالية.

للمسلمين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢ – ٣]، ولذا فإنه في الوقت الذي يجب على المسلمين العمل على إصلاح واقعهم، لأنه يمثل آلية الحوار العملي، يجب ألا يصدنا الواقع السيئ للمسلمين عن السعي إلى خوض غمار الحوار في شقِّه الثاني، وهو حوار الكلمة والدعوة والخطاب، ويجب علينا ألا ننتظر حتى يصلح الواقع ثم نحاور، خاصة أن قضايا الواقع لا يملكها العالم والمفكر الذي يقوم بأجزاء مهمة من الحوار، ثم إن أهم مضامين الحوار هي مضامين فكرية ثقافية.

وفي هذه الورقة، أذكر أهم ما يتبادر إلى الذهن من آليات ووسائل يمكن من خلالها ممارسة الحوار وأداء دور فعال، على أننا نذكِّر بأن أهم شيء في العملية الحوارية هو: المحاور، ومادة الحوار أو مضمون الحوار. فليس مهماً أن يتم الحوار؛ لأن الحوار لا يُقصد لذاته وإنما يُقصد لهدفه ومقصده، فالجهلة بحقائق هذا الدين وأصحاب الأهواء والمنحرفون والمنهزمون ثقافياً ونفسياً والموظفون سياسياً؛ يجب أن نحذرهم في الحوار لأنهم لا يحققون هدفاً ولا مصلحة:

* تشجيع أقسام الثقافة الإسلامية وما في معناها من القيام بدور مهم في الدراسات الحضارية المتعلقة بالتعرف على الحضارات الأخرى وثقافاتها وأديانها وقيمها، وتأهيل محاورين يقومون بالحوار مع مفكريها ومؤسساتها، وذلك بدفع بعض الباحثين للتخصص في هذه المجالات، وتشجيع ما يُسمَّى بـ (علم الاستغراب) في هذه الكليات والأقسام، ودراسة لغاتهم من أجل التعامل مع مصادرهم الثقافية والفكرية مباشرة، وفي العالم الإسلامي أقسام في جامعات أو كليات معنية من حيث الأصل بهذا النوع من التخصصات؛ مثل قسمي الثقافة الإسلامية في كل من جامعتي الإمام محمد بن سعود، والملك سعود في الرياض، وكلية دار العلوم في القاهرة وغيرها.

* إنشاء مراكز معلومات ومراكز بحث علمي متخصصة، تُعنى بشؤون الأديان والثقافات والحضارات وحواراتها؛ بحيث تكون بيئة علمية لهذا النوع من الأبحاث، ومساندة لأي نوع من أنواع الحوارات التي تتطلبها الأهداف المنشودة.

* إنشاء آلية للتنسيق مع المعارضين لبعض أوجه الانحراف البشري والأخلاقي (الإباحية) في العالم من غير المسلمين، ومن واقع التجربة؛ فإن كثيراً من الجمعيات المسيحية الغربية وقفت معارضة لوثائق مؤتمرات المرأة والسكان المتضمنة لإشاعة الانحراف الأخلاقي، وتكريس الإباحية. وكثمرة من ثمار التنسيق مع المعارضين لما جاء في وثيقة مؤتمر الإيدز الذي عُقد في إسبانيا أخيراً؛ غُيّرت البنود الخاصة بحقوق البغايا والشاذين، وهذا التنسيق والتعاون بين جمعيات المسلمين وجميعات المسيحيين سنجد له مستنداً في الشريعة ليس فقط قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢]، وقد سبق شيء من ذلك، وبناء على ذلك فإن خصوم انحرافات العولمة في المجتمعات الغربية كثر؛ من نقابات، وجمعيات وشخصيات، ويمكن أن توضع آلية للتنسيق معهم والتفاعل مع أطروحاتهم لتهذيب وحشية العولمة؛ حيث إن ميدان التوحش هذا سيكون ميدانه بلدان المسلمين.

* التواصل مع المفكرين الغربيين الذين يكونون أكثر إنصافاً مع قضايا المسلمين الفكرية والسياسية؛ من

خلال منتديات حوار أو جمعيات صداقة أو تحت أي عنوان، وأخذ رؤيتهم أثناء رسم الخرائط الفكرية والثقافية والسياسية للمجتمعات الغربية، ورؤيتهم في كيفية الحوار ومع مَنْ وعبر أي وسيلة.

* المؤتمرات والندوات واللقاءات، وهذه المنتديات إذا أُحسن توظيفها واستثمارها؛ فإنها من أنجع الوسائل لتحقيق أهداف الحوار؛ لأنها أُقيمت ابتداء من أجل الحوار، وتحظى برعاية أممية أو دولية، وتُغطى إعلامياً، ولذا من المفيد جداً بل من الواجب أن تحظى هذه التجمعات باهتمام إسلامي حتى غير رسمي؛ لأنه يتاح في الغالب للمنظمات غير الحكومية المشاركة وتقديم الأوراق.

* الحوار عن طريق الفضائيات، وهذه وسيلة لها تأثير كبير في الرأي العام، ولكن يجب على من يتصدى للحوار أن يتخير القنوات الفضائية الفاعلة وبلغات المحاورين، وأن يكون هدفها تحقيق أهداف الحوار، وليس تغيير الصور النمطية لدى الآخرين عن الإسلام وتحسين الصورة وتسويق الذات والاعتذار للآخرين.

* ترجمة الكتب التي تخدم قضايا الحوار، وتأليف كتب تتناول أهم مضامين الحوار، وبيان الرؤية الإسلامية حول هذه المضامين، ومن ثَمَّ ترجمتها إلى اللغات الحية.

* حوار الإنترنت، وهذه من أيسر الوسائل المتاحة؛ لأن إمكانات الإنترنت متاحة لأي مستخدم، ويستطيع أي مفكر أو مجموعة من الدعاة أو العلماء أو المثقفين أن يقوموا بهذا الدور من خلال إنشاء مواقع لذلك، أو حوار الآخرين من خلال مواقعهم الحوارية، أو التنسيق في المواقف لمناهضة الظواهر السلبية العالمية.

* استثمار وجود الجاليات الإسلامية في تلك المجتمعات للمشاركة والتعاون معهم في الحوارات المختلفة؛ لأن هذه الجاليات ـ خاصة النخب فيها ـ قادرة على معرفة أفضل الوسائل للتعامل الحواري مع هذه المجتمعات، كذلك التعاون مع المسلمين من أبناء تلك المجتمعات؛ لأنهم أقدر على فهم طبيعة مجتمعاتهم ونفسياتهم وثقافتهم ومواقع الضعف والقوة لديهم.

**عاشراً: تجارب حوارية:**

أذكر هنا مجموعة من التجارب الحوارية التي يمكن أن يُستفاد منها لنجاحها وظهور آثارها الإيجابية؛ وإن كان بعضها بحاجة إلى تقويم لمعرفة مدى توافر مقومات الحوار فيها وضوابطه ومنطلقاته الشرعية:

ـ لقاءات وندوات حول الإعجاز العلمي في القرآن، وهي اللقاءات التي تنظمها هيئة الإعجاز العلمي في رابطة العالم الإسلامي(١)، وقد دعي لهذه الندوات بعض العلماء والمتخصصين من الغربيين، وقد أسلم بعضهم بعد حوار علمي، وهذا الميدان يمكن أن يُستثمر في الدعوة إذا عرضت الإشارات العلمية التي جاءت في القرآن كمداخل للإيمان كما جاءت هكذا في القرآن؛ دون التكلف الذي يخرج هذه القضايا العلمية عن مقصدها القرآني(٢).

(١) يشار في هذا المقام لدور الشيخ عبد المجيد الزنداني الذي بدأ هذا النشاط في هذا المجال في رابطة العالم الإسلامي، وصار له جدالات حوارية مع علماء غربيين، انتهى عدد منها بإسلام هؤلاء العلماء.

(٢) في مؤتمر الإعجاز العلمي الذي عقد في شهر مارس من هذا العام ٢٠٠٤م في دبي؛ طرحت أوراق عن الإعجاز التشريعي في القرآن، وهو ميدان آخر مهم يمكن أن يثري الحوار ويقنع الآخرين بالإسلام.

ـ حوار إسلامي نصراني (حوار دعوة) في إفريقيا، انتهى بإسلام القساوسة الذين شاركوا في هذا الحوار، وهي حالة نموذجية يمكن أن يُستفاد منها كتجربة ناجحة، وهي التي قام بها الشيخ جميل غازي ـ رحمه الله ـ من مصر، والشيخ محمد أبو زيد من السودان، وآخرون، حيث كان من نتيجتها إسلام القساوسة المحاورين، وقد سُجِّلت أحداث هذا الحوار في كتاب متداول.

ـ حوار بعض علماء السعودية برئاسة وزير العدل السابق الشيخ محمد الحركان؛ مع رجال الدين في الفاتيكان وفي المجلس الأوروبي في ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤م، وقد سُجِّلت مضامين هذا الحوار في كتاب (حوارات علمية)، وكان من النتائج صدور بيانين مهمين من المجمع المسكوني ـ مجلس الكرادلة في الفاتيكان؛ اعترف الأول أن الإسلام دين سماوي منزل وأتباعه أُمَّة ناجية، وعلى النصارى أن يتعلموا منهم احترام المسيح وأمه، وتلقي العقيدة المسيحية بوجه صحيح. فيما نص البيان الثاني على دعوة النصارى بعدم التبشير في مناطق المسلمين، وأن يركِّزوا نشاطهم في الأماكن التي لا يوجد فيها مسلمون، ولكن البيانين أُخفيا عن وسائل الإعلام، ويقال أن البابا قُتل مسموماً بعد ذلك(١).

ـ مؤتمر بكين الرابع عن المرأة، حيث حضر الصوت الإسلامي الرسمي وغير الرسمي، وأثبتوا حضورهم نسبياً في المؤتمر من خلال أطروحات وأوراق قُدّمت هناك، وصار لها تأثير نسبي، أي بحجم تأثير المسلمين في العالم، ولكنه مع ذلك كان ضرورياً لإثبات الرؤية الإسلامية وعدم تفرد الرؤية الغربية، وكان من أقوى المواقف الرسمية موقف السودان، ومن أقوى مواقف المنظمات شبه الرسمية موقف رابطة العالم الإسلامي، أما مواقف المنظمات غير الحكومية؛ فإن التجمع الإسلامي في أمريكا الشمالية كان له الدور الأبرز في بيان الرؤية الإسلامية حول المرأة.

ـ أعمال لجنة الحوار في المجلس العالمي للدعوة والإغاثة، والتي تمثِّل ما يزيد على تسعين هيئة إسلامية، وقد عملت على إيجاد ضوابط للحوار، ولها اجتماعات حوارية سنوية(٢).

ـ الحوار من خلال المجلس العالمي للأديان والمنظمات المنبثقة عن الأمم المتحدة، وقد جرت من خلاله حوارات حول مؤتمر السكان بالقاهرة ومؤتمر كيوتو باليابان، ومؤتمر المرأة في بكين، عام ١٩٩٥م، والقمة الألفية للقيادات الدينية من أجل السلام عام ٢٠٠٠م(٣).

---

(١) صرح بذلك د. عبد الله نصيف في ورقة له قدمها في ندوة حوار الحضارات، عقدت في الندوة العالمية للشباب الإسلامي في مارس عام ٢٠٠٣م.

(٢) يرأس هذه اللجنة الدكتور عبد الله عمر نصيف أمين عام رابطة العالم الإسلامي سابقاً، وأمينها العام الدكتور حامد الرفاعي، ولهم موقع على الإنترنت باسم المنتدى الإسلامي للحوار www.dialogueonline.com.

(٣) من ورقة قدمها الدكتور عبد الله العبيد أمين عام سابق لرابطة العالم الإسلامي إلى ندوة حوار الحضارات، التي سبق ذكرها.